الحركة العلمية بمازونة

سفيان شبيرة
المعهد الوطني المتخصص لتكوين الأسلاك
الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف
غليزان

إن المتصفح لكتب التراجم و الطبقات التي تناولت تاريخ الحواضر العلمية في المغرب الإسلامي عموما ، أو المغرب الأوسط خصوصا ، سيجد ذكرا . و لو بمقدار لحاضرة مازونة العلمية ، سواء بذكر علمائها ، أو بذكر المؤلفات العلمية التي يعود تصنيفها لعلماء تلقوا المبادئ العلمية الأولى بهذه الحاضرة ، على غرار أبو زكريا يحيى المازوني و مؤَلَفه المشهور " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " ، ووالده أبو عمران موسى المازوني و مؤَلَفه المشهور كذلك " ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار " ، و الذي اختُصِر في كتاب آخر عنونه بعنوان "صلحاء وادي الشلف " حيث يعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم التي أرَّخت لعلماء المنطقة .

فحاضرة مازونة تعتبر بلا شك من أبرز الحواضر العلمية التي شهدت نشاطا علميا بارزا ، لكن ميزة هذه الحاضرة دون غيرها من الحواضر أنها لم تحض بالدراسة و البحث كما هو شأن الحواضر العلمية الأخرى .

و عليه تأتي هذه الورقة البحثية لإماطة اللثام عن هذه الحاضرة المغمورة ، من خلال التعريف بمراكزها العلمية ، و علمائها الأجلاء ، بالإضافة إلى المصنفات العلمية المنسوبة إليها بطريقة أو بأخرى ، كل ذلك إجابة عن إشكالية جوهرية تتمثل في الآتي : ما مدى مساهمة حاضرة مازونة في إثراء الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ؟ ، و ما مظاهر هذه الحركة العلمية ؟

المبحث الأول : التعريف بحاضرة مازونة

إن الباحث في تاريخ هذه المدينة يتعثر بعقبة شُحّ الدراسات التي تناولت تاريخ مازونة ، و ندرة من تطرق إليها من المتقدمين [1]،لذلك لم يتوصل المؤرخون إلى تاريخ تشييد المدينة ، إذ اكتفت المصادر التاريخية بالقول إن مازونة تأسست على أيدي أبناء قبيلة مغراوة ، و منه يمكن القول إنه يعود تأسيس المدينة إلى العصور الوسطى ، و بالضبط بين القرن السابع و الثالث عشر هجري ، إذ خلال هذه الفترة لعبت قبيلة مغراوة دورا تاريخيا مهما في المغرب الأوسط [2].

و بذلك اعتبرت مازونة حاضرة من حواضر إمارة مغراوة بالإضافة على مدينة تنس و مستغانم ، و ظلت على هذه الحال إلى أن اشتهر حالها أكثر بعد الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير و وهران ، حيث انتقلت إليها مجموعة كبيرة من الأسر المرساوية و الوهرانية ، مما أدى بالسلطة التركية إلى اتخاذها عاصمة للغرب الجزائري ، ليس لكونها كانت مدينة كبيرة أو أنها تفوقت علميا أو حضاريا على مدن أخرى بالغرب الجزائري كتلمسان مثلا ، و لكن لكونها كانت في منأى عن الهجومات الإسبانية لوقوعها على سفوح جبال الظهرة و أبعد ما كانت عن الساحل ، و استمرت بذلك مازونة عاصمة للغرب الجزائري من 1586م إلى 1701م [3].

و يرجح أحد الرحالة أن تاريخ تأسيس المدينة يعود إلى العهد الروماني ، بدليل العثور على أثار و قطع نقدية رومانية بالمنطقة ، و هذا ما يؤكده الوزّان حيث يقول : " و هي مدينة أزلية بناها الرومان ،حسب قول بعضهم على بعد نحو أربعين ميلا من البحر ، . . . و يشاهد بقرب المدينة مناطق خربة مما كان بناه الرومان ، لا تحمل أي اسم معروف لدينا ، لكن مما يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام " ، و في هذا السياق يذكر

الإدريسي أن المدينة كانت موجودة قبل الإسلام بحوالي بضعة قرون [4] ، بينما أفاد صاحب الترجمانة الكبرى أن المدينة أسسها أمير بني راشد عام ستين و مائة (160هـ / 776 م) [5].

لكن لعل الراجح ما ذهب إليه ابن خلدون و أكده أبو راس الناصري حيث أفاد ابن خلدون أن المدينة أُسست من قبل أبو منديل عبد الرحمن زعيم مغراوة في القرن : 6 هـ / 12 م ، و يقول أبو راس الناصري : " ثم سافرت لمازونة لأول صومي مدينة مغراوة بناها منديل عبد الرحمن أوائل القرن السادس " .

أما أصل التسمية فقد تداولته ثلاث روايات :

. تقضي الرواية الأولى أن كلمة مازونة هي اسم لرئيس قبيلة زناتية تدعى ماسون .

. و تذكر الرواية الثانية أن مازونة هي اسم لكنز من النقود كان بحوزة ملكة بالمنطقة ، إذ كان هذا الكنز يسمى " موزونة " .

. و تذكر الرواية الأخرى أنه كان بالمنطقة ملكا يدعى ماتع، و كانت له بنت اسمها " زونا " ، و كان في المنطقة منبع ماء ، نُسب فيما بعد هذا المنبع لابنة الملك زونا فأصبح يقال للمنبع " ماء زونا " إلى أن أصبحت بمرور الزمن " مازونة" [6].

و لعل الراجح هو الرواية الأخيرة ، لأنه لازالت إلى يومنا هذا تسمية الملك " ماتع " موجودة من خلال ما يسمى بعرش " بوماتع "، الذي يشكل أحد أهم العروش المستقرة بمدينة مازونة القديمة .

و وصفها الوزّان بأنها مدينة متحضرة جدا في القديم ، و فيها جامع و بعض المساجد الأخرى ، و نفس الوصف نجده عند أحد الرّحالة الألمان حيث يقول : " بأن مازونة منذ القديم بلد العلوم الإسلامية ، و لربما أخبرنا أنّ الطالب الذي قرأ الكتب في مازونة ، يتمتع بمكانة لا يتطرق إليها الشك كانت بصحنه مدرسة عامرة " [7].

و يذكر الأستاذ مولاي بن حميسي و هو أحد أبناء المدينة عن أحياء مدينة مازونة أنه كان حي أولا سايح في الشمال تقطنه بعض العناصر العربية ، و حي بوماتا في الشرق ، و حي تايسري في الجنوب يسكنه أصحاب الحرف و التجار ، و حي القصبة في الغرب و هو الحي القديم ، و هذا الحي مازال موجودا إلى يومنا هذا [8].

دمرت مازونة عدة مرات حتى كادت أن تختفي لكن إرادة البقاء و العطاء كانت أقوى من رغبة التسلط و الانتقام ، ثم لأن تمركزها على محور الطريق التاريخي الذي كان يربط شرق الشمال الإفريقي بغربه كان يجدد عليها الأدوار و المهام و من ثمة الاستمرار في جدلية البناء و الهدم فالبناء .

المبحث الثاني : المراكز العلمية بمازونة

أولا : مدرسة أبو ماتع و دورها في إحياء الحياة العلمية بمازونة

لقد شهدت مازونة قبل تأسيس مدرستها من قبل الشيخ محمد بن شارف المازوني الأندلسي نشاطا علميا لا يقل ضخامة عن ذلك الذي شهدته المدرسة المازونية بداية القرن الحادي عشر ميلادي ، يرجع الفضل في ذلك . على ما يذكر الباحث بن صديق محمد صاحب كتاب الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة . إلى المدرسة العتيقة التي كانت بالمدينة أو ما يسمى مدرسة أبو ماتع ، فقد شهدت هذه المدرسة الوقفية نشاطا علميا منقطع النظير[9] ، و من أبرز ملامحه :

1 . بروز العلامة الفقيه أبو عمران موسى المازوني عاش بداية القرن الخامس عشر: و من أبرز مؤلفاته :

. ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار .

. حلية المسافر و أدبه و شروط المسافر في ذهابه و إيابه .

. الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق .

2 . أبو زكريا يحي بن أبي عمران المازوني المتوفي حوالي 883 هـ . 1478 م

و لد و نشأ بمازونة ودرس بها على والده ثم انتقل إلى تلمسان ، و أخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد و القاسم العقباني و غيرهما ، تولى القضاء بمازونة و كان من أكبر فقهاء عصره ، ألف كتابه المشهور . كما ستأتي الإشارة إليه . الدرر المكنونة في نوازل مازونة [10].

3 . أبو عبد الله الثابتي

كان يسميه صاحب البستان يحي بن ادريس المازوني كان يحفظ 27000 حديثا [11]. و غير هؤلاء كثير من العلماء الأعلام منهم من بقي بمازونة ، و منهم سافر إلى تلمسان و غيرها من الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي [12].

4 . محمد الأمير المازوني

يقول عنه الباحث . محمد بن صديق . : ((لا ندري إن كان بذاته العلامة الشهير أحمد المغراوي)) ، فمن فيض علم هذه الشخصية و ولايته و صلاحه دان له بمصر كل رئيس و وزير ، و كان باشا مصر على ضخامة سلطانه و علو مكانته يأتيه للتبرك به في العيدين [13].

ثانيا : مدرسة محمد بن شارف المازوني و دورها في إثراء العلمية

شهد المغرب الأوسط عموما و مازونة خصوصا خلال القرن السادس هجري تحولات سياسية هامة منها قدوم الأتراك و الغارات الإسبانية على السواحل الغربية و نزوح أهل الأندلس ، فاختيرت مازونة أول بايلك للغرب الجزائري قبل معسكر و وهران مما زاد في إشعاعها الثقافي و العلمي ، و من أبرز ملامحه تأسيس مدرسة مازونة من قبل الشيخ محمد بن شارف و هو من النازحين الأندلس سنة 1029 هـ و درّس بها 64 سنة ، فشُدت إليها الرحال من كل فج عميق ، و ساهمت بشكل عظيم في تعزيز وجود المذهب المالكي .

و تكريما لعلمائها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان جدّد الأتراك بناءها مرارا و تكرار ، و لعل من مشاهير طلبة مدرسة مازونة نجد :

. أبو راس الناصري حيث بلغ عدد أساتذته أكثر من 41 أستاذا جلهم من حاضرة مازونة .

. محمد بن قندوز المستغانمي خريج مدرسة مازونة ثم الأزهر الشريف و تلميذ الدردير .

. محمد بن علي السنوسي المجاهري صاحب التآلف في تاريخ المغرب و الجزائر ، ومؤسس الطريقة السنوسية [14]

. محمد بن عبد المؤمن الرُّماصي الراشدي .

الشيخ الزناتي المغيلي الإدريسي [15].

. الشيخ سيدي بوعبد الله المغوفل[16]

هذا و يصف أبو راس الناصري[17] الذي زار المنطقة ما كان عليه علماء حاضرة مازونة من الاهتمام بالفقه المالكي دراسة و تدريسا قائلا : " وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأولى (أي الجزء الأول من مختصرخليل) ، و البعض الآخر مشهور بمعرفة الثاني (أي الجزء الثاني من المختصر) و البعض مقصور على الفرائض لا يتعداها و لا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها " [18]، و يقصد أبو راس الناصري كل من الشيوخ : مصطفى بن هني ، و الشيخ مصطفى بن يونس ، و الشيخ محمد بن ابراهيم ، و الشيخ الزناتي .

و يصف كذلك أبو راس الناصري الشيخ ابن علي المغيلي أحد أعلام حاضرة مازونة قائلا : " إنه صاحب الأصول و الفروع في فقه مختصر خليل " ، و يروي عن الشيخ صادق بن أفغول أنه : " أكثرهم حفظا و أتقنهم للمصنف " .

كما كانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني (899هـ . 1493م) عدة تآليف في مسائل القضاء و الفتيا منقولة في معيار الونشريسي [19].

و كان لشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك ومنهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك أثرى بهما خزانة الفقه المالكي [20].

كما ألف القاضي عبد السلام كتابا رائعا في الفقه و المسائل القضائية التي تتشرف مكتبة مدرسة مازونة (جامع الترك) بحفظه إلى يومنا هذا [21].

و يقول أبو راس الناصري : " سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي ، فقلت له : ذاهب إلى مازونة ، قال : لم ؟ قلت : لقراءة الفقه ، فقال : و القرآن ؟ فقلت له : لا نعرفه بأحكامه و أنصاصه و ما يتعلق به ، فحفظت في مازونة مختصر خليل ، و فهمته معنى و لفظا في عامي الأول ، ثم قرأت للطلبة الفرائض " .

ثالثا : المساجد

أسست بمازونة و في فترات مختلفة مساجد شبيهة بمؤسسات تعليمية جامعة ما بين دور الكتاتيب و المصليات و الأضرحة ، كانت لا تتوفر على مآذن عند تشييدها ، لا زال البعض منها قائما إلى غاية اليوم :

. مسجد الهدى ببودلول الذي أسسه الزيانيون سنة 1450 م .

. مسجد القصبة المعروف بجامع سيدي عبد الحق (آل العشعاشي) الذي تحيط به آثار و أعمدة رومانية مزخرفة بنقوش نباتية زهرية ، و هذا المسجد أسس سنة 1600 م ، كان هذا المسجد مخصصا لطبقة الأتراك الحاكمة بحكم تجاور المسجد مع دار الباي بالنوبة و المحكمة العثمانية و كامل حي القصبة المخصص للإقامة التركية .

. مسجد سيدي امحمد الشريف المؤسس سنة 1700 م ، و في روايات أخرى سنة 1000 م .

. مسجد سيدي علي بن لحسن ببوماتع الذي أسسته العائلة الخردوسية أيام الحضور العثماني [22].

من بين أهم المساجد كذلك [23]:

. مسجد سيدي محمد بن شارف ، بناه الأتراك بداية عام 1700 م تكريما لشيخ محمد بن شارف الذي شارك مع طلبته إلى جانب الأتراك في فتح وهران .

. مسجد المدرسة (مدرسة الترك) أسسه سيدي محمد بن شارف عام 1029 هـ[24].

. هذا بالإضافة إلى العديد من المساجد الصغيرة الأخرى يتجاوز عددها الخمس مساجد داخل مازونة ، أي أن المدينة كانت تحتضن عند مطلع القرن 18 م أكثر من 10 مساجد و محكمة و زوايا كثيرة مما جعلها تكتسب تلك السمعة التي لازالت تُذكر بها ألا و هي دار العلم و العلوم [25].

المبحث الثالث : الإنتاج العلمي بمازونة

أولا : صناعة العلماء

1 . أحمد بن محمد بن زكري المازوني (ت 899هـ . 1493م) : أحد **أعلام حاضرة مازونة** نشأ بتلمسان و كان بداية أمره يتعاطى الحياكة ، إذ مات أبوه وتركه صغيرا في حضانة أمه فحدث أن جاءه الشيخ أحمد بن زاغو أحد أعلام تلمسان ، بغزلٍ لينسجه له ثم تبين له أن الغزل غير كاف فذهب إلى جامع يطلب من الشيخ غزلا آخر يكمل النسيج فحضر الدرس ، و كان بن زاغو يقرر مسالة فقهية اشكل معناها على الطلبة و عسر عليهم فهمها فقال ابن زكري أنا فهمتها ، و قررها أحسن ما ينبغي ، فقال الشيخ : مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة ، و كانت أم بن زكري في حاجة إلى ما يريحه ابنها من هذه الحياكة ، فذهب إليها الشيخ بن زاغو و

تعهد لها بدفع ما كانت في حاجة إليه بشرط أن تعرض و لدها على طلب العلم فاشتغل حينئذ بطلب العلم فدرس على ابن زاغو و قاسم العقباني و ابن مرزوق و غيرهم .

و كان من الذين أخذوا عنه (أحمد بن محمد بن زكري المازوني) الإمام سيدي أحمد مرزوق : أحمدبن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي الشهير بزروق (846 هـ). ، و تنقل بين تلمسان و بجاية و قسنطينة للدراسة و التحصيل و تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، و ألّف عدد من الكتب في علم التصوف و شرح عدة منظومات منها المنظومة الوغليسية للشيخ عبد الرحمن الوغليسي في الفقه المالكي ، و قد حاول أن يُوفق بين التصوف و الفلسفة و حج عدة مرات و أدركته الوفاة في قرية تكرين بضواحي مصراتة قرب مدينة طرابلس الليبية في شهر صفر 899هـ / 1493م ، و هناك دفن .

بالإضافة إلى الخطيب العلامة سيدي محمد بن مرزوق حفيد الحفيد الذي أخذ هو الآخر و تتلمذ على يد الشيخ أحمد بن محمد بن زكري المازوني .

و بذلك ساهمت مازونة في تعزيز المرجعية المذهبية في المغرب الأقصى من جهة و توحيدها من جهة أخرى بين أقطار المغرب الإسلامي عامة ، الجزائر و المغرب الأقصة بالأخص .

2 . محمد بن علي السنوسي المجاهري :

إن من أهم الوفود العلمية التي تلقت العلم بحاضرة مازونة الشيخ السنوسي محمد بن علي السنوسي المجاهري ولد في سنة 1206هـ . 1791م قرب مدينة مستغانم ، و توفي في جغبوب بصحراء برقة ، تلقى العلم في بلاده على يد الشيخ أبو راس الناصري الذي درس هو الآخر بمازونة ، و الشيخ محمد بلقندوز المستغانمي بمازونة ، ثم اتقل إلى الفاس و أقام هناك 08 سنوات لإتمام تعليمه

في مجال التفسير و الحديث و الأصول ، و في سنة 1837 م أنشأ زاوية على جبل قابس ، و أثناء عودته من الحج إلى بلده أنشأ زاويته المشهورة بالجبل الأخضر بليبيا ، و لعل كل هذا الفضل يعود بالدرجة الأولى لحاضرة مازونة ، فلولاها لما كان الشيخ السنوسي الذي أسس زاوية بتونس و أخرى بليبيا ، و بذلك ساهمت حاضرة مازونة في تعزيز و توحيد المرجعية المذهبية في ليبيا [26].

3 . أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني المتوفي حوالي القرن 15م / 9 هـ ، و الذي شغل منصب قاضي مازونة له مؤلفات كثيرة من أهمها : ديباجة الإفتخار في مناقب أولياء الله الأخيار ، الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق ، حلية المسافر و آدابه و شروط المسافر في ذهابه و إيابه .

4 . أبو زكريا يحي بن أبي عمران المازوني المتوفي حوالي 883 هـ . 1478 م ، و لد و نشأ بمازونة ودرس بها على والده ثم انتقل إلى تلمسان ، و أخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد و القاسم العقباني و غيرهما ، تولى القضاء بمازونة و كان من أكبر فقهاء عصره ، ألف كتابه المشهور . كما ستأتي الإشارة إليه . الدرر المكنونة في نوازل مازونة [27].

5 . أبو عبد الله الثابتي ، كان يسميه صاحب البستان يحي بن ادريس المازوني . كما سبق الإشارة . ، و كان يحفظ 27000 حديثا [28].

و غير هؤلاء كثير من العلماء الأعلام منهم من بقي بمازونة ، و منهم سافر إلى تلمسان و غيرها من الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي [29].

ثانيا : صناعة المؤلفات العلمية

1 . كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة : لصاحبه أبو زكريا يحي المازوني ، حيث يعد هذا الكتاب حلقة هامة ضمن سلسلة من المؤلفات النوازلية في القرن 9هـ /15م ، إذ يربط بين نوازل البرزلي و معيار الونشريسي ، و قد أشاد الباحثون

بذلك ، بل و ذهب بعضهم إلى جعله حلقة مفقودة في تاريخ المغرب الوسيط ، بين كتاب العبر لابن خلدون و كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان ، كما احتوى على جملة وافرة من أقوال مالك و أصحابه و كبار مجتهدي المذهب المالكي ، و متقدميه و متأخريه بشكل متناسق و جمع بين آراء فقهاء المدارس المالكية الأربعة : المغربية الأندلسية ، المصرية ، العراقية ، و مدرسة المدينة [30]، هذا و قد اعتبر العلامة محمد النابغة العلاوي الشنقيطي من خلال نظْم بوطْلَيْحِيَّة من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي بقوله :

و اعتمدوا نوازل الهلالي و در النثير كاللآلي

كذلك ما يعزى إلى مازونة و هو المسمى الدرر المكنونة[31]

هذا و إذا أردنا أن نقارن بين كتاب المعيار المعرب ، و كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، فإننا سنجد أن معظم النوازل التي جاءت في كتاب الدرر أُعيدت كلها في كتاب المعيار المعرب ، و بالتالي فستكون دراستنا منصبة بنسبة كبيرة على كتاب الونشريسي انطلاقا مما ذكرناه .

هذا و يقول الشيخ البوعبدلي في وصف الكتاب : ((... و هذه الموسوعة الفريدة في موضوعها . و إن أهملها الجزائريون و لم يقدِّروا قيمتها . فقد خلدها التاريخ حيث إن العلامة بن يحيى الونشريسي ضمنها موسوعته : (المعيار المعرب عن فتاوى إفريقية و الأندلس و المغرب) ..))

و يقول الشيخ كذلك و هو يتكلم عن القيمة العلمية لهذا الكتاب : ((... و مع الأسف أن جل القراء يظنون أن هؤلاء المؤلفين لكتب النوازل كانوا مجرد جمّاعين للفتاوى ، و ينقلونها و يثبتونها في كتبهم ، فاغتنمنا هذه الفرصة لنقل فقرات من مقدِّمتها ضمنها مؤلفها . صاحب الدرر المكنونة . منهاجه في التأليف ، و تعرض فيها لمساهمة والده أبي عمران موسى في التأليف ... كما أن كثيرا من

المعاصرين يبالغون في تسليط أحكامهم المفترضة و المرتجلة على فقهاء البلاد ، و بالخصوص فقهاء مازونة ، بأن أسلوبهم في كتبهم ضعيف مهلهل ، و تعميم هذا الحكم غير مسلَّم ، و ارفع آثاره نثبت نُبذا من تقديم كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ....)) [32].

2 . حاشية الرماصي على شرح التتائي : لمؤلفه الشيخ الرماصي و مما يدل على المكانة العلمية المرموقة لهذا المؤلف ن هو اعتباره من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي لامتيازه بالضبط و التحرير ، حيث يقول الغلاوي في البوطليحية (البيت 67) عند نظمه للكتب المعتمدة في الفتوى في المذهب المالكي :

و اعتَمَدوا حاشيةً للمصطفى على التتائي كسراج ما انطفى

و قد اعتمد هذا الكتاب غلب ما جاء بعد الرماصي من الفقهاء مثل :

الشيخ محمد الخرشي (الابن) : أشار له بعبارة (تت)

الشيخ الدردير : أشار له بعبارة (طفى)

الإمام الدسوقي : أشار له بعبارة (طفى)

الشيخ الصاوي : أشار له بعبارة (ر)

السنباوي المعروف بالأمير : أشار لع بعبارة (ر)

محمد بن الحسن البناني : أشار له بعبارة (طفى)

هذا بالإضافة إلى الكثير من الكتب التي لازال بعضها مفقود إلى اليوم على غرار كتاب " ديباجة الافتخار " ، و الملاحظ على التآليف المازونية هو غلبة النزعة الفقهية عليها .

يمكن في ختام هذه الورقة البحثية التذكير بأهم النتائج التي يمكن استخلاصها على النحو الآتي :

. تعتبر حاضرة مازونة من الحواضر العلمية البالغة الأهمية التي ساهمت في إثراء الحياة العلمية و الثقافية بالمغرب الأوسط .

. تعتبر " مدرسة مازونة " التي أسست في القرن الحادي عشر للهجرة من قِبل الشيخ محمد بن شارف المازوني الأندلسي ، من أهم و أبرز المراكز العلمية التي شهدتها حاضرة مازونة .

. لقد لعبت الأوقاف الإسلامية دورا مهما في تمويل الحركة العلمية و الثقافية بحاضرة مازونة ، هذه الأوقاف التي لم يعد لها يوم أي وجود في الواقع ، بسبب عبث المستعمر الفرنسي بها .

. شهدت حاضرة مازونة صناعة الكثير من الشخصيات العلمية البارزة ليس في المغرب الأوسط فحسب ، بل في العالم الإسلامي عموما ، على غرار أبو زكريا يحي المازوني ، و محمد بن علي السنوسي الذي ذاع صيته في الحجاز (مكة المكرمة) ، قبل أن يحدث ثورة علمية و ثقافية بليبيا التي توفي بها .

. لم تقتصر الحركة العلمية بمازونة على صناعة الشخصيات العلمية البارزة فحسب ، بل امتدت إلى إنتاج المؤلفات العلمية ، مثل كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " لمؤلفه أبو زكريا يحي المازوني ، الذي يعتبر من أهم المصادر التي اعتمد عليها " الونشريسي " في كتابه " المعيار المعرب " ، و كتاب " حاشية الرماصي على شرح التتائي " الذي يعتبر هو الآخر من المصادر المعتمدة في المذهب المالكي .

. إن الغالب على التصانيف العلمية التي عرفتها حاضرة مازونة ، هو اهتمامها بالجانب الفقهي ، حتى أن مدرسة مازونة عرفت في فترة من الفترات ببراعة علمائها في شرح مختصر خليل .

. لا تزال هذه الحاضرة في حاجة ماسة ، إلى تعميق و تكثيف الدراسة حولها ، و لعل الكنوز الهائلة من المخطوطات التي لازالت العائلات المازونية تحتفظ بها من شأنها أن تجيب عن الكثير من التساؤلات التاريخية للدور الذي قامت هذه الحاضرة ليس على المستوى العلمي فحسب ، بل حتى على المستوى السياسي و العسكري بالمنطقة .

الهوامش:

[1] قندوز ماحي : مقدمة تحقيق كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ، ص30 .

[2] يحي بن خلدون : بغية الرواة ، تحقيق حاجيات ، الجزائر ، ج 1 ، ص 208 . 248 .

[3] مختار حساني : مقدمة تحقيق الدرر المكنونة ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ج 1 ، ص 13 .

[4] نقلا عن : بركات إسماعيل : دراسة و تحقيق كتا بالدرر الكنونة من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، رسالة ماجستير ، حامعة الجزائر ، 2010 ، ص 124 ، 125 .

[5] أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى ، تحقيق : غبد الكريم فيلالي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1967 ،ص 48 .

[6] محمد يوسف الزياني : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1978م ، ص 1055

[7] هاينريشفون مالستان : ثلاث سنوات في شمال إقريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976 ، 1/ 231 .

[8] نقلا عن : بركات إسماعيل : دراسة و تحقيق كتا بالدرر الكنونة من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، المرجع السابق ، ص 125

[9] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 93 .

[10] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 43 .

[11] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص 43 .

[12] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 38 .

[13] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 94 .

[14] طاهر جنان نقلا عن : مولاي بالحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20 ، ص 93 .

[15] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، وهران ، 2009 م ، ص 103 .

[16] هو سيدي بوعبد الله محمد المغوفل بن محمد بن واضح بن عثمان بن الحاج عيسى بن محمد الملقب بن فكرون لكثرة عبادته في الماء حتى انفلق جلده و هو مدفون مع ابنه سيدي الحاج عيسى بإزاء ورسنيس (الونشريس) و هما يُزارا في كل وقت ، توفي (سيدي بوعبد الله) سنه 924هـ / 1614 م.

[17] هو محمد أبو راس ناصر المعسكري ولد سنة 1150هـ بنواحي معسكر ، أخذ عن والده بمسقط رأسه ، ثمهاجر إلى مازونة ، و ترك ثروةعلمية فقهية و علمية كبيرة جدا ، تنيف عن 136 مخطوطا . قندوز ماحي : مقدمة تحقيق كتاب الدرر المكنونة ، ص 45 .

[18] أبو راس الناصري : فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 ، ص 43 .

[19] طاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، المرجع السابق ، 49 .

[20] المرجع السابق ص 43 .

[21] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 106 .

[22] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 97 .

[23] جاء ذكر مساجد مازونة في وثيقة بخط يد الداي بكداش لصالح ذرية سيدي علي الكتروسي بتاريخ 1085 هـ / 1680 م ، حيث عين باشا الجزائر السيد أبو العباس عبد الله أحمد بن خدة الكتروسي مقتيا و إماما بجامع سيدي عزوز ببوماتع . أنظر: مولاي بلحميسي : دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية ، جمعية الظهرة للفن و السياحة ، ص 06 .

[24] طاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، المرجع السابق ، ص 78 .

[25] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 97 .

[26] محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر ، 1324 هـ / 1906 ، ص 176

[27] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 43 .

[28] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص 43 .

[29] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 38 .

[30] قموح فريد : الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المازوني . دراسة و تحقيق لمسائل الجهاد و الايمان و النذور ، المرجع السابق ، ص 104 .

[31] محمد النابغة العلاوي الشنقيطي : نظم البوطليحية فيما اعتمد من الكتب و الاقوال ، منشور في آخر كتاب اصطلاح المذهب ، محمد إباهيم علي ، ص 623 .

[32] الشيخ المهدي البوعبدلي : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني (من القرن العاشر هجري إلى القرن الثالث عشر) ، أنظر: جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر ، جمع و إعداد : عبد الرحمن دويب ، عالم المعرفة ، ط1 (2013 م) ، الجزائر، ، ص85 .